دلالة لفظ اليد في القرآن الكريم

د. ضياء نعمة حسين موسى

م.م. حيدر ناصر سلمان شفلح

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية الرصافة الأولى

Semantic hand word in the Quran kareem

Dr. Dhiyaa Nima Hussein Moussa .

MA. Haider Nasir Salman Shifalah.

Ministry of Education - AlRusafa ALAula

Education Department

الملخص:

اهتم هذا البحث بدراسة دلالة لفظ اليد في القرآن الكريم، فقدَّم للموضوع مبحثًا أولًا تناول فيه دلالة الألفاظ، وعلاقة اللفظ بالمعنى، وبيَّن طبيعة العلاقات الدلالية، وأنواعها من معجمية واجتماعية وأساسية وهامشية، وحقيقتها ومجازها، وأثر السياق في تحديد المعنى. ثم انتقل إلى مبحث ثان تناول فيه الدلالة الحقيقية للفظ اليد، فرصد السياقات المختلفة للآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ اليد بمعناه الحقيقي. وفي المبحث الثالث تناول الدلالة المجازية للفظ اليد لمَّا انتقل من معناه الحقيقي إلى معانيه المجازية المختلفة، فسجلها المبحث في صفحاته.

Abstract:

Summary This research concerned with studying the significance of pronouncement of the hand in the Qur'an kareem . It presented to the topic a first study in which it dealt with the connotation of words, the relationship of the word to meaning, and showed the nature of semantic relationships and their types of lexical, social, basic and marginal, and its truth and metaphor, and the effect of context in determining the meaning. Then he moved to a second topic in which he dealt with the true significance of the word hand, and he examined the different contexts of the Qur'anic verses in which the word "hand" was mentioned in its true meaning. In the third topic, he dealt with the metaphorical significance of the word hand when it moved from its true meaning to its various metaphorical meanings, so the research recorded it in its pages.

المقدمة

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين تكتسب الألفاظ اللغوية بالاستعمال دلالات مختلفة، تتفاوت في مدى بعدها أو قربها من المعنى اللغوي الذي استُعملت فيه الكلمة أول مرة، ومن هذه الدلالات ما هو قريب الإدراك واضح المعالم في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، ومنها ما هو على خلاف ذلك، فيعسر فهمه ومعرفة المقصود منه بسهولة. وما دامت ألفاظ اللغة على هذا القدر من التفاوت والاختلاف في دلالاتها من حيث الوضوح والتعدد فإنه من الطبيعي أن ينشأ قدر من الغموض واللبس في إدراك المعنى المراد التعبير عنهوقد هيَّأ واقع الاستعمال اللغوي وسائل جعلت أمر التفاهم والتعبير سهلًا ميسورًا على المتكلم والسامع، ومن هذه الوسائل ما يتعلَّق باللفظ نفسه، وبطبيعة معانيه والعلاقة بينهما، ومنها ما يتعلَّق بالظروف الخارجية التي تكتنف الكلام والمتكلمين عند استعمال اللفظ. فما تعلَّق باللفظ وطبيعة معانيه، فإنه لما تعددت الدلالات التي يصلح لها اللفظ، فإن أحدها يلغي غالبًا ما عداه، وهذا المعنى هو الأكثر شيوعًا في الاستعمال بين أفراد الجماعة اللغوية وقت التكلم، فلو أخذنا كلمة (اليد) مثلًا لوجدنا أن معناها المعجمي يتضمن دلالاتها على العضو المعروف (اليد الجارحة)، وفي الاستعمال السياقي يمكن أن تدل على القدرة والعطاء وغير ذلك. وأما ما يتعلَّق بالظروف الخارجية التي تكتنف الكلام والمتكلمين عند استعمال اللفظ فهو ما يدعى السياق، ومفهوم السياق في علم اللغة الحديث لا يقتصر على ما يدل عليه النص اللغوي بالنظر إلى معاني مفرداته في حالة نظمها في عبارة معينة، فذلك لا يمثل سوى جانب واحد من جوانب السياق يدعى بـ(المقال)، أما الجانب الآخر فيشمل كل الظروف والملابسات والعناصر اللغوية، وقد أطلق على هذا الجانب مصطلح (المقام). وقد أجرى هذا البحث دراسة دلالة لفظ اليد في القرآن الكريم في ثلاثة مباحث، المبحث الأول: قدَّم للموضوع بدراسة دلالة الألفاظ، وعلاقة اللفظ بالمعنى، وأنواع الدلالات، وحقيقتها ومجازها. والمبحث الثاني: تناول الدلالة الحقيقية للفظ اليد، فرصد الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ اليد بمعناه الحقيقي. وأما المبحث الثالث، فتناول الدلالات المجازية للفظ اليد، ووقف على السياقات المختلفة للآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ اليد بمعانيه المجازية، وسجل تلك المعاني.

المبحث الأول: دلالة الألفاظ:

البحث في دلالة اللفظ على معناه من المسائل الأولى التي شغلت أذهان المفكرين على اختلاف مشاربهم، فقد وُجدت آثار ذلك في التفسيرات المختلفة التي خلَّفتها الحضارات الإنسانية البارزة، وكان من نتائج البحث في هذه المسألة ظهور اتجاهات مختلفة تفسر هذه الظاهرة، منها أن دلالة اللفظ على المعنى دلالة طبيعية (ذاتية)، إذ تنشأ دلالة اللفظ على معناه من ذاته، ففي أصواته وصيغة بنائه ما يدل على معناه، وبذلك يختص كل لفظ بمدلول معين؛ لأن طبيعة اللفظ تستلزم أن يكون له معنى محدد ( ). ويقرّ البحث اللغوي الحديث بأن الأصوات اللغوية تتباين فيما بينها من حيث وقعها على أذان السامع وأثر جرسها في نفسه، وقد أدرك اللغويون المحدثون وجوه الشبه بين طائف من أسماء الأصوات التي تدل عليه[1]. وذهب آخرون إلى أن دلالة اللفظ على المعنى دلالة توقيفية، إذ يرتبط اللفظ بمدلوله ارتباطًا قائمًا بمقتضى الإرادة الإلهية التي خصَّت كل مسمى باسم معين، ثم أوحت بتلك الأسماء إلى آدم (عليه السلام) الذي أورثها بنيه، وهكذا توارث البشر لغاتهم عن اللغة الأولى التي أوحى الله تعالى بها إلى آدم في بدء الخلق[2]، ولهذا المذهب آثار واضحة في التراث اللغوي لأمم قديمة، بيد أن القول بالرأيين: العلاقة الطبيعية والعلاقة التوقيفية عليه مآخذ وردود كثيرة. وهناك مذهب ـ وهو الأكثر انتشارًا ـ يقول بأن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة

اصطلاحية، تقوم على اتفاق أفراد الجماعة اللغوية ثم تعارفهم على أن يكون هذا اللفظ رمزًا يدل على ذاك المعنى، من غير إلزام ولا وجوب، ومن غير أن يُنظر إلى طبيعة الأصوات التي تكوّن اللفظ، بل يصلح كل لفظ للدلالة على أي معنى دلالة اتفاقية اصطلاحية يقرّها العرف اللغوي لأفراد الجماعة اللغوية المعينة. وكانت الدراسات اللغوية في التراث اللغوي للأُمم تظهر أن لهذا المذهب أنصارًا من مفكرين ولغويين وفلاسفة للعديد من الأمم قديمًا وحديثًا، ولم يخل التراث اللغوي العربي من قائلين بهذا الرأي، فقدَّموا لنا تصورًا عن المواضعة بأن يجتمع شخصان أو أكثر فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها لفظًا إذا ذُكر عُرف به مسماه[٣]، وهذا العمل شبيه لما تقوم به المجامع اللغوية في العصر الحديث. والقول بهذا الرأي ـ الدلالة الاصطلاحية ـ يحمل أفكارًا سديدة، منها الإشارة إلى وقوع المواضعة اتفاقًا لا قصدًا بين الأفراد، ثم شيوعها بالتقليد والمحاكاة بين أفراد الجماعة اللغوية[٤]، فينفي صفة الإلزام والضرورة عن علاقة اللفظ بالمعنى، ويرى أن العلاقة مردها إلى رغبة المتكلمين وإرادتهم التي وافقهم عليها سائر أفراد الجماعة اللغوية، فارتضتها وانتشرت بينهم بالمحاكاة والتقليد، وفي هذا ما يعكس الجانب الاجتماعي للغة. وهذه الدلالات والمعاني التي تحملها الألفاظ تعددت الآراء في أنواعها، فمنها: المعنى المعجمي، والمقصود به، معنى الكلمة الذي يسجله المعجم ويحدده، وقد يكون هذا المعنى مقصورًا على مدلول واحد أو مدلولات متعددة، فلو بحثنا عن كلمة (الجَنَان) مثلًا، لوجدنا من معانيها المعجمية: ظلمة الليل، والليل نفسه، وجوف كل شيء لا نراه، والقلب، والروح، وبعض هذه المعاني حقيقي وبعضه الآخر يتصل بغيره بعلائق المجاز، وكل هذه المدلولات هي المعنى المعجمي لكلمة (الجنان)، ومن هذا نرى أن: " المعنى المعجمي قابل للتعدد، وذو صفة احتمالية، أي أن كل مدلول من مدلولاته يحتمل أن يكون هو المعنى المقصود حتى يقطع السياق وظروف المقال هذه الاحتمالية"[٥] وهناك المعنى الاجتماعي للكلمة، وهو مجموع ما تدل عليه، وهي حية مستعملة في نص معين، وفي مقام محدد، ولذا يُعنى اللغويون الوصفيون بالمعنى الاجتماعي للفظة؛ لأنه نتاج استعمال واقعي محدد. وعلى هذا يصح القول بأن المعنى الاجتماعي هو ما توحي به الكلمة من دلالات مرتبطة بثقافة مجتمع معين أو حضارته. فالإحاطة بالمعنى الاجتماعي الذي توحي به الكلمة، وإدراك عناصر المقام الاجتماعي الذي قيلت فيه أمر لازم للفهم التام العميق لدلالة الكلمة، وقد أفاضت الدراسات اللغوية الحديثة[٦] في استقصاء الجوانب الاجتماعية للعملية اللغوية . وللكلمة معنى أساسي وآخر ثانوي (هامشي)، إذ تطرأ على ألفاظ اللغة بالاستعمال ألوان مختلفة من التغيرات تبعد بها قليلًا أو كثيرًا عن معناها الأصلي، فقد تتغير دلالة الكلمة من مدلول عام إلى مدلول خاص، فكلمة (العمرة) مثلًا، تدل في اللغة على القصد والزيارة، ثم صارت زيارة البيت الحرام فقط، وقد يحدث العكس فتنتقل الكلمة من مدلول خاص إلى عام، كما حدث لكلمة (السبب) فأصل دلالتها في اللغة الحبل، ثم صارت الكلمة تدل على كل شيء يصل به الإنسان إلى موضع أو حاجة، وكل هذا بفعل عوامل التطور اللغوي التي رصدها اللغويون وصنفوها وبينوا كثيرًا من مظاهر تأثيرها على دلالة الألفاظ[٧]. ويحدث في كثير من الأحيان أن يتصدر معنى من معاني الكلمة سائر معانيها الأخرى، فيشيع على الألسن أكثر من غيره في الظهور في أي استعمال يصلح بها، والمعنى الأكثر دورانًا وشيوعًا هو ما دعاه اللغويون بالمعنى الأساسي أو (الرئيس) وأما المعاني الأخرى التي تقل عن المعنى الرئيس أهمية وشيوعًا فقد أطلقوا عليه مصطلح المعنى الثانوي أو (الهامشي). ومن الأمثلة التي تصلح لهذه المسألة كلمة (اليد)، فإن معناها الأساسي هو دلالاتها على العضو المعروف (اليد الجارحة)، أما دلالاتها الأخرى كاستعمالها بمعنى القدرة، والقوة، والعطاء وغيرها فهي معان ثانوية تدور في ذلك المعنى الأساس، وترتبط به بعلائق المجاز المختلفة.وللسياق أثر كبير في الكشف عن كون المعنى المراد من اللفظ حقيقيًا أم مجازًا ثانويًا، ويتبين أثر السياق بجلاء في الكشف عن طبيعة المعنى المراد عند النظر في الاستعمال السياقي لكلمة (اليد) في العبارات الآتية: لكَ عليَّ يدٌ، علينا أن نغسل أيدينا جيدًا، هذه الأرضُ في يدِ فلان.فمن الواضح أن السياق (المقالي) يدلنا على أن كلمة اليد في العبارة الأولى تعني الفضل والعطاء، وفي العبارة الثانية تعني العضو المعروف (اليد الجارحة)، وأما في العبارة الثالثة فأنها تعني التملك والحيازة. والنظر في الأحوال والملابسات التي تحيط بالكلام يدلنا أيضًا على المعنى المراد، فكلمة (الخير) في كلام النحوي تعني مدلولًا يختلف عما يقصده الصحفي، وكلمة (عملية) يطلقها الطبيب على أحداث بعينها، وهذه الأحداث تختلف عما يعنيه الجندي، حيث يتحدث عن عملية يقوم بها، وهذان المعنيان يختلفان عن الاستعمال العام في مثل قول الناس على اختلاف طبقاتهم: (الأغراض العملية، أو الجوانب العملية) . وكون المعنى أساسي أو هامشي ثانوي أمرًا مرهونًا بالاستعمال وقابلًا للتغيير والاختلاف باختلاف الأزمنة والأمكنة؛ فالذي يعد أساسًا في وقت من الأوقات قد يصير ثانويًا في وقت آخر، وما لم يكن له حظ من الانتشار والشيوع في مكان معين قد يكون هو المعنى الأكثر دورانًا في بيئة أخرى.

والنظر إلى العلاقة بين اللفظ والمعنى على أنها علاقة اصطلاحية رمزية لا ينبغي أن يحمل على الاعتقاد بأن النشاط اللغوي قائم على أساس آلي رتيب يحدد لكل رمز لغوي مدلولًا معينًا لا ينبغي أن يحيد عنه، أو أن يضفي عليه المتكلم شيئًا من أحاسيسه الذاتية أو أفكاره

الخاصة فوق ما يحمل من الدلالة العرفية الاجتماعية، إذ المضامين الذاتية الخاصة والعاطفية هي من قبيل المعاني الاقترانية، وهي ما يخطر في بال الإنسان حيث يسمع أو يقرأ كلمة ما، فسماعنا لكلمة (يد) مثلًا يقترن في الأذهان بالقوة والجود والعطاء، فضلًا عما توحيه من معنى اليد الجارحة. وأما القدر العام المشترك من الدلالة فإن اللغويين يطلقون عليه مصطلح (المضمون العقلي) أو (المنطقي)، وهو المقابل الخارجي الذي يشير إليه اللفظ فيتصوره ذهن السامع، ويشترك مع أفراد الجماعة اللغوية في هذا الجانب العقلي من الدلالة، فالمضمون العقلي لكلمة (الليل) هو الوقت الذي تغيب فيه الشمس، وهو ضد النهار، وهذا المضمون لا يختلف فيه اثنان، في حين يظهر الاختلاف في المضمون العاطفي؛ لأنه فردي في الأساس [٨]. وأساليب الكلام تتباين في مدى اعتمادها على أحد الجانبين أكثر من الآخر، فالأساليب الأدبية تقوم في الأساس على استعمال ما في اللغة من مضامين عاطفية، أما الأسلوب العلمي فإنه يلتفت إلى المضمون العقلي للألفاظ، ولذا يتوخى التدقيق والتمحيص في اختيار اللفظة المناسبة للمعنى المراد التعبير عنه. إنّ ما تقدم يدلنا دلالة صريحة على أن الاكتفاء بدلالة الألفاظ المعجمية أو الأساسية أو العقلية وحدها للوصول إلى معنى الكلام لا يؤدي بنا إلى الغرض المنشود من النص، ومن هنا جاءت أهمية معرفة التغير الدلالي بالتوسيع أو التضييق أو الانتقال، حيث ينتقل اللفظ من الاتساع إلى الضيق، أو من الضيق إلى الاتساع، أو ينتقل المعنى عن طريق العلاقات المجازية، فيعبر عنه بلفظ آخر بينه وبين اللفظ الأول سبب من الأسباب التي سموها بالعلاقات المجازية، وأفاضوا في تفصيل أنواعها، ونبَّه إليها اللغويون القدماء تحت مباحث (العام والخاص)، و (الحقيقة والمجاز)، و(الألفاظ الإسلامية)[٩]، وغير ذلك مما له صلة بهذه المباحث. كما أن الجهل بالمقام وظروف الكلام وملابساته بصورة عامة كثيرًا ما ينتج فهمًا ليس دقيقًا لدلالة النص، وإن الاكتفاء بظاهر اللفظ وما يحمله من دلالات بمعزل عن (المقام) لا يصل بالمفسِّر إلى فهم النص القرآني فهمًا صحيحًا، ومن هنا جاءت عنايتهم بمعرفة (أسباب النزول)، والإحاطة بما يرافق النص القرآني الكريم من ظروف وأحداث.

المبحث الثاني: الدلالة الحقيقية للفظ اليد:

دلالة اللفظ الحقيقية هي استعمال اللفظ فيما وضع له في أصل اللغة، وفي اصطلاح التخاطب من غير أن ينتقل إلى معنى آخر، وقد عرَّف ابن جني (ت٣٩٢هـ) الحقيقة اللغوية بأنها" ما أُقرَّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة"[١٠]. واستعمال (الحقيقة) بمعناها الاصطلاحي يعد تجوزًا بالنسبة لمعناها اللغوي، ولكنه يسمى حقيقة عرفية خاصة، إذ استعمال اللفظ في اللغة يسمى مجازًا بالنسبة للاستعمال الأوَّل متى ما تغيرت الدلالة، فالحقيقة اللغوية هي ما استعمل من الألفاظ في معناها اللغوي، ولم تنتقل إلى معنى اصطلاحي أو شرعي، سواء أكان الاستعمال هو ما وضع له اللفظ أوَّلًا، أم ما اكتسبه اللفظ من مدلول جديد في مرحلة من مراحل التطور اللغوي بعرف استعمال الناطقين باللغة.وقد قُسِّمت حقيقة دلالة الألفاظ على أقسام عدة بحسب تخصص الباحثين، فمن أقسامها: الحقيقة اللغوية، والحقيقة الشرعية. وقُسِّمت الحقيقة اللغوية على قسمين أيضًا، هما: الحقيقة اللغوية الوضعية، والحقيقة اللغوية العرفية، وهذه العرفية قسمت على قسمين، هما: عرفية عامة، وعرفية خاصة. وتُعرَّف الحقيقة اللغوية الوضعية بأنها: " اللفظ المستعمل فيما وضع له أوَّلًا في اللغة، كالأسد المستعمل في الحيوان الشجاع العريض الأعالي، والإنسان في الحيوان الناطق"[١١]. فالحقيقة اللغوية الوضعية تعني ـ بحسب هذا المفهوم ـ الدلالات الأولى، أو الدلالات الأسبق في الزمن قبل أن يعتريها تغير دلالي، كألفاظ اليد، والأرض، والسماء، وغيرها عندما تستعمل بمعانيها الأولى الشائعة.والحقيقة اللغوية العرفية، تُعرَّف بأنها: " اللفظ المستعمل فيما وُضع له بعرف الاستعمال اللغوي"[١٢]. وهذا يعني أن تغيرًا دلاليًا حدث للكلمة وشاع في الاستعمال. والحقيقة العرفية العامة تعني أن يكون الاسم قد وُضع لمعنى عام، ثم خصص بعرف استعمال أهل اللغة في بعض مسمياته، كاختصاص لفظ (الدابة) بذوات الأربع عرفًا، وإن كان في الأصل لكل ما دبَّ، وذلك أما لكثرة مشاهدتها، أو لكثرة استعمالها، أو لنحو ذلك. وأما الحقيقة العرفية الخاصة فهي أن يكون اللفظ في أصل اللغة بمعنى، ثم يشتهر في عرف الاستعمال بالمجاز الخارج عن الوضع اللغوي، بحيث أنه لا يفهم من اللفظ عند إطلاقه غيره. ويتمثل ذلك في التغير الدلالي الذي يعتري الألفاظ حين استعمالها في مصطلحات العلوم، وهو تغير مقصود، تتغير به دلالات الألفاظ عن طريق أصل الاستعمال العام في اللغة. فالرفع والنصب والجر في النحو ألفاظ لها دلالات مختلفة عن استعمالها اللغوي، والغريب والمشهور والضعيف ألفاظ لها دلالات في علم مصطلح الحديث تختلف عن استعمالها اللغوي العام[١٣]، وهكذا سائر مصطلحات العلوم والفنون والصناعات والمجالات الوظيفية ونحوها.والتغير الدلالي الذي يعتري دلالة ألفاظ الحقيقة اللغوية الوضعية فتصبح دلالتها عرفية، يتمثل في جانبين، أحدهما: تخصيص المعنى، بأن يكون اللفظ قد وضع لمعنى عام، ثم يخصص بعرف الاستعمال اللغوي ببعض أفراده، كلفظ (الدابة) الذي مثلنا له. والجانب الآخر، انتقال المعنى، بأن يكون اللفظ في أصل استعماله معنى، ثم يشتهر في عرف الاستعمال بمعنى مجازي آخر خارج عن معناه الأول، بحيث لا يفهم من اللفظ عن إطلاقه غيره، كلفظ (الغائط) فهو في أصل اللغة

للموضع المطمئن من الأرض، بيد أنه قد اشتهر في عرف الاستعمال بالخارج المستقذر من الإنسان، حتى إنه لا يفهم من ذلك اللفظ عند إطلاقه غيره. وأما الحقيقة الشرعية، فهي " اللفظ المستعمل فيما وُضع له بوضع الشارع، لا بوضع أهل الشرع "[١٤]، أي: هي اللفظة التي يكون الناقل فيها هو الشرع؛ لذلك تسمى اللفظة الشرعية، أو الحقيقة الشرعية، كألفاظ الصلاة، والصوم والزكاة، وغيرها. وموارد الألفاظ الشرعية (الحقيقة الشرعية)، هي الألفاظ التي استفيد من الشرع في وضع معناها، سواء أكان اللفظ والمعنى مجهولين عند أهل اللغة أم كانا معلومين، لكنهم لم يضعوا ذلك اللفظ لذلك المعنى، أو كان أحدهما مجهولًا والآخر معلومًا، فمثال كون اللفظ والمعنى مجهولين ما ذكره أهل اللغة أن العرب قبل الإسلام لم تعرف كلمة (المنافق)، وإنما عرفت لفظ (النافقاء)، وهو جحر اليربوع يستره بشيء من التراب، ويُظهر غيره، فحمل ذلك الفعل على اشتقاق لفظ المنافق في الدين[١٥] ، لوجه الشبه بينهما. أما كون اللفظ والمعنى معلومين، كلفظ (الزكاة)، وهو إخراج المال، ومثال كون اللفظ معلوم والمعنى مجهول لفظ (الصلاة) فقد كان معلومًا على أنه بمعنى (الدعاء) في حين كانت العبادة المخصصة مجهولة عندهم، وأما كون اللفظ مجهولًا والمعنى معلومًا فمثاله لفظ (الأَبّ)، إذ قيل بأن هذه الكلمة غير معلومة عند العرب قبل الإسلام، ومعناها معلوم عندهم وهو العشب. وقد ورد لفظ (اليد) في القرآن الكريم حاملًا دلالته الحقيقية الأولى من غير أن ينتقل إلى معنى آخر في نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٤٩]، ففي هذه الآية المباركة إشارة إلى قصة طالوت وجالوت، وقد ورد فيها لفظ (اليد) بمعناه الحقيقي، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾، والغرف: رفع الشيء وتناوله، يقال: غرفت الماء بيدي[١٦]، وظاهر (غرفة بيده) الاقتصار على غرفة واحدة، وأنها تكون باليد، وقال بعض المفسرين: لم يرد غرفة الكف، وإنما أراد المرة الواحدة بقربة أو جرة أو ما أشبه ذلك، وهذا الابتلاء الذي ابتلى الله ـ تعالى ـ به جنود طالوت ابتلاء عظيم حيث مُنعوا من الماء مع وجوده وكثرته في شدة الحر والقيظ[١٧]. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الأنعام:٧]، دلَّ لفظ: (أيديهم) على معناه الحقيقي، وفيه إشارة إلى استكبار الكافرين، وقد بلغ مبلغًا، لا ينفع معه حتى لو أنزل الله إليهم كتابًا في قرطاس، فلمسوه ومسّوه بأيديهم، وناله حسهم بالبصر والسمع، وتيقنوا بأنه ليس من السحر، فإنهم قائلون حينئذ لا محالة: هذا سحر مبين[١٨] لشدة عنادهم، وتطاولهم في غيهم. وفي آية الوضوء والتيمم دل لفظ اليد على معناه الحقيقي، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[سورة المائدة:٦]، ولفظ الأيدي في قوله تعالى: (وأيديكم إلى المرافق) منصوب بالعطف على الوجوه، الواجب غسلها، ويجب غسل الأيدي من المرافق، وغسل المرفق معها إلى رؤوس الأصابع، ولا يجوز غسلها من الأصابع إلى المرفق، وجاء حرف (إلى) في الآية بمعنى (مع)، وقوله (بوجوهكم وأيديكم منه)، يعني مما يعلق بأيديكم من الصعيد[١٩].ودلالة لفظ اليد في قوله تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٢٤]، دلالة حقيقية على معناه، وفي هذه الآية تهديد بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، وهو أن تُقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى، فيكون قطع كل من اليد والرجل من خلاف الجهة التي يقع فيها القطع الآخر[٢٠]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة يس:٦٥]، إذ دلَّ لفظ اليد على معناه الحقيقي، ويظهر من هذه الآية أن في يوم القيامة ينطق كل عضو بما يخصه من العمل، وذكر الأيدي والأرجل ـ هنا ـ من باب الانموذج، ولذا ذكر في موضع آخر السمع والبصر والفؤاد[٢١]. وقال الرازي (ت٦٠٦هـ): "جعل الشهادة للأرجل، والكلام للأيدي؛ لأن الأفعال تُسند إلى الأيدي، قال تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[٢٢]، أي ما عملوه، وقال:﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾[٢٣] ، أي: ولا تلقوا بانفسكم، فإذًا الأيدي كالعاملة "[٢٤]وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة يوسف:٣١]، يصور ما حصل في مجلس امرأة عزيز مصر حين دعت نساء المدينة اللاتي لمنتها على حب يوسف (عليه السلام) ومراودته عن نفسه، فلما رأينه اشتغلن بالنظر إليه، واندهشن من جماله، ونسين الفاكهة، حتى جرحن أيديهن من غير شعور لفرط الدهشة[٢٥]. وتكرار ذكر اليد في معناها الحقيقي في الآيات

التي تحدثت عن قصة موسى (عليه السلام) وفرعون، والبراهين التي جاء بها موسى دليلًا على نبوته، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾[سورة طه: ٢٢]، فقد أرسل الله ـ تعالى ـ موسى(عليه السلام) إلى فرعون وقومه، وأقام عليهم الحجج والبراهين والآيات العديدة، منها إخراج يده بيضاء للناظرين من غير سوء، والجناح هو الجنب تحت العضد [٢٦] .وفي قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٤]، أمر بالقتال بعد بيان موجبه في سياق الآيات على أتم وجه، وتوبيخ على تركه، ووعد بنصر المؤمنين وتعذيب أعدائهم بأيديهم بالقتل والأسر، وإذلالهم بذلك[٢٧].وقوله تعالى: ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾[سورة يس: ٣٥]، فيه لفظ (ما) يحتمل معنيين: النفي، أو الصلة، فيكون المعنى على الأول: ولم تعمل تلك الثمار أيديهم، وعلى الثاني: يكون المعنى: والذي عملته أيديهم من أنواع الأشياء المتخذة من النخيل والعنب وكثرة منافعه[٢٨].ومن موارد لفظ اليد على حقيقته في القرآن الكريم، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [سورة ص:٤٤]. والضغث : ملء اليد من الحشيش، أي قبضة منه[٢٩]، أو من الأعواد الرقيقة، كسيقان الحنطة والشعير والورد وما شابهها[٣٠]. وكان نبي الله أيوب (عليه السلام) قد حلف في مرضه ليضربن امرأته إذا برأ من مرضه، فحل الله ـ تعالى ـ يمينه بأهون شيء عليه وعليها.

المبحث الثالث: الدلالة المجازية للفظ اليد:

المجاز: هو اسم لكل لفظ مستعار لشيء غير ما وضع له، أو هو ما نُقل عما وضع له في الوضع الأوّل[٣١]. ويعد المجاز مبحثًا خصبًا لعلم الدلالة، إذ فيه تتجلى مرونة النظام اللغوي وانفتاحه على كل تغير للمعنى، وهو يؤكد من جانب آخر على مطاوعة اللغة لأساليب التعبير التي يفرضها الموقف، ويتم في صلب النظام اللغوي استحداث أنظمة ابلاغية جديدة تحافظ على نقل الرسالة الابلاغية، وهي غاية ما يرمي إليه أي نظام لغوي، ومرونة النظام اللغوي تسمح بوجود تداخل في دلالة البنى التعبيرية عند الاستعمال بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، حتى لتغدو الدلالة المجازية بالاستعمال المتداول دلالة حقيقية تعايش الدلالة الأصلية الأولى، فتخرج من مجالها الاستثنائي إلى مجال الاستعمال الحقيقي. وإن العلاقة التي تربط الدلالة الحقيقية بالدلالة المجازية، لا تخرج عن تلك الأنساق الدلالية العامة التي تربط الدال بمدلوله، فالبحث في دلالة المجاز هو بحث في معنى المعنى، إذ إن مدلولًا أولًا (وهو الحقيقة) يقود إلى مدلول ثان (وهو الدلالة المجازية)، والأنساق الدلالية التي حددها علماء الدلالة ثلاثة: دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام، وتُلتمس هذه الدلالات في المجاز بأنواعه المختلفة، والذي يتمثل في كل لفظ حُوِّل عن معناه الأصلي، وبقيت تربطه معه علاقات تُحدَّد عن طريق قرائن [٣٢]، سنأتي على ذكرها.والاتجاه العام لدى اللغويين والأصوليين والبلاغيين هو إثبات وقوع المجاز في اللغة والشرع، وتوجيه اللوم لمن ينكر ذلك، ويبدو أن الخلاف في كثير من الأحيان لفظي، إذ إن المنكرين له يثبتون وقوع النقل من اللغة إلى الشرع، أو بسبب العرف، ولكنهم لا يسمون ذلك مجازًا، فهم معترفون بحقيقة الظاهرة وجوهرها مخالفون في التسمية فقط[٣٣]. وقد أشار المقرّون بوقوع المجاز إليه بقولهم: " المجاز موجود في كتاب الله تعالى، والله ـ تعالى ـ يتعالى على أن يلحقه العجز أو الضرورة، إلَّا أن التفاوت بين الحقيقة والمجاز في اللزوم والدوام من حيث أن الحقيقة لا تحتمل النفي عن موضعها، والمجاز يحتمل ذلك، وهو العلامة في معرفة الفرق بينهما "[٣٤]. وللتفريق بين الحقيقة والمجاز وضعوا مجموعة من العلامات والأمارات التي يمكن بها التفريق بينهما، وهي كثيرة [٣٥]، منها: النقل عن أهل اللغة، وذلك بأن يصرحوا بأن اللفظ حقيقة في استعمال ما مجاز في غيره، فيتحروا التغير الدلالي للألفاظ ويتوصلوا إلى الاستعمال، ويبحثوا ما اعترى الدلالات من تغيير توسيعًا أو تضيقًا أو انتقالًا، والواقع أن معظم ألوان التغيير الدلالي ومنها المجازات المنقولة الشائعة الاستعمال لا يدركها إلا ذوو البصر باللغة وخصائصها، ولا تتضح إلَّا بالبحث والدراسة. ومنها: تبادر المعنى إلى الفهم والعراء عن القرينة، وهو من علاقات الحقيقة، وذلك أننا إذا سمعنا أهل اللغة (الناطقين بها) يعبرون عن معنى واحد بعبارتين، ويستعملون إحداهما بقرينة دون الأخرى عرفنا أن اللفظ حقيقة في المستعمل بلا قرينة مجاز في المستعمل معها، بيد أن هذه العلاقة لا يمكن بها أن تُميز المجازات التي حظيت بالشهرة وذيوع الاستعمال بين عامة الناطقين باللغة، لأن التبادر إلى الفهم مقرون بكثرة الاستعمال وشيوعه. ومنها أيضًا: الاطراد في الاستعمال، فاللفظ المستعمل حقيقة يطرد إطلاقه على معناه في كل موضع بعكس المجاز فإنه لا يطرد.وتتعيّن الحقيقة أو المجاز من اللفظ المستعمل بصور متعددة وأمارات مختلفة[٣٦]، منها: أنهما لا يجتمعان في لفظ واحد وفي حالة واحدة، على أن يكون كل منهما مرادًا بحال؛ لأن الحقيقة أصل والمجاز مستعار، ولا تصور كون اللفظ الواحد مستعملًا في حقيقته وفي مجازه في آن واحد وفي حالة واحدة. ومنها: أن اللفظ قبل الاستعمال لا يتصف بكونه حقيقة ولا يكون مجازًا لخروجه عن حد كل واحد منهما؛ لأن

التفريق بين الحقيقة والمجاز إنما يعتمد على الاستعمال في السياق. ومنها أيضًا: لا بدّ من العلاقة في كل مجاز فيما بينه وبين الحقيقة، فالعلاقة بين المجاز والحقيقة في الاستعمال مبدأ أقرّه اللغويون والبلاغيون، وإن اختلفوا في بعض كيفياتها وتسمياتها.ويقع المجاز بأن يُنقل اللفظ من معنى إلى معنى آخر لعلاقة بين المعنيين، والبحث في هذه العلاقة يكشف عن إدراك القدماء لقانون هام من قوانين تغير المعنى، وهو ارتباط الحالة التي تنتقل إليها الدلالة بالحالة التي انتقلت منها، وتلك العلاقات كثيرة(٣٧)، منها: علاقة السببية، وتتمثل في إطلاق اسم السبب على المسبب أي العلة على المعلول، كالتعبير عن القدرة أو النعمة باليد التي هي سبب فيها. وعلاقة المسببية، وهي إطلاق اسم المسبب على السبب، كتسمية المرض المهلك بالموت. وعلاقة المشابهة، وتتمثل في تسمية الشيء باسم ما يشبهه في الصفة المعروفة كإطلاق لفظ (الأسد) على الإنسان الشجاع. وعلاقة المضادة، نحو تسمية الصحراء المهلكة بالمفازة. وعلاقة الكلية، وهي إطلاق اسم الكل على الجزء، ويعد منه إطلاق العام على الخاص، كإطلاق لفظ الأصابع وإرادة بعضها. وعلاقة الجزئية، وتعني إطلاق اسم الجزء على الكل، كإطلاق لفظ (الرقبة) على العبد.واستُعمل لفظ (اليد) في القرآن الكريم استعمالًا مجازيًا، ذلك بأن دلّ على معان مغايرة لمعناه الحقيقي الذي وُضع له في الوضع الأوّل، وكانت تلك المعاني كثيرة ومتعددة، منها ما في قوله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[سورة آل عمران: ٢٦]. إن معنى (اليد) في هذه الآية المباركة هو القدرة، قال الرازي: "فأعلم أن المراد من اليد هو القدرة، والمعنى: بقدرتك الخير، والألف واللام في الخير يوجبان العموم، فالمعنى: بقدرتك تحصل كل البركات والخيرات"(٣٨). وكذلك ورد لفظ اليد بمعنى القدرة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [سورة آل عمران:٧٣]. قال أبو حيان (ت٧٤٥هـ) في معنى(أن الفضل بيد الله): "وهذه كناية عن قدرة التصرف والتمكن فيها، والباري تعالى منزه عن الجارحة"(٣٩). ومنه ـ أيضًا ـ ما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾[سورة يس:٧١]. جاء في تفسير الأمثل: "جملة (عملت أيدينا) كناية عن أعمال القدرة الإلهية بشكل مباشر، إذ أن أهم الأعضاء التي يمارس بها الإنسان قدرته ويعبر عنها هي يداه، لهذا السبب كانت اليد كناية عن القدرة، كأن يقول أحدهم: إن المنطقة الفلانية في يدي، كناية عن أنها تحت سيطرته ونفوذه" (٤٠).ودلّ لفظ اليد في القرآن الكريم على العمل في مثل قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨١-١٨٢]. فقد جاء ذكر "الأيدي على سبيل المجاز؛ لأن الفاعل هو الإنسان لا اليد، إلا أن اليد لما كانت آلة الفعل حسن إسناد الفعل إليها على سبيل المجاز" (٤١). ومثله ما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَآهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ﴾[سورة الكهف:٥٧]. ونسبت المعاصي إلى اليد؛ "لأن اليد هي العضو العامل في البدن كثيرًا، وإلّا فالمعاصي تصدر من جميع الأعضاء، فذلك بعلاقة الجزء والكل، كاستعمال الرقبة وإرادة الإنسان"(٤٢). ونحوه ما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[سورة الحج:١٠]. فاستُعمل لفظ اليد ـ هنا ـ في عمل المعاصي، وهي " كناية عما اجترحوه من المعاصي السابقة، ونسب التقديم لليد مجازًا، إذ كانت اليد أكثر الجوارح تصرفًا في الخير والشر"(٤٣). وجاء لفظ اليد دالًا على الاختصاص في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:٨٨]. فالملكوت بيده تعالى مختصًا به، وكون " ملكوت كل شيء بيده كناية استعارية عن اختصاص ايجاد كل ما يصدق عليه الشيء به تعالى ... وهو في الحقيقة توضيح لاختصاص الملك، بأنه بتمام معنى الكلمة فليس لشيء شيء من الملك في عرض ملكه"(٤٤). وكذلك ما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾[سورة ص: ٧٥]. فإضافة اليدين إليه تعالى " إنما أريد به تحقق الفعل له، وتأكيد إضافته إليه، وتخصيصه به، دون ما سوى ذلك من قدرة أو نعمة أو غيرهما" (٤٥). وأيضًا في قوله تعالى: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [سورة يس:٨٣]. دلّ لفظ اليد على الاختصاص، كون ملكوت كل شيء بيده، وهذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، وإلّا فليس لله سبحانه يد كأيدينا، فإنه سبحانه منزه عن الجسمية وعوارضها(٤٦).واستُعمل لفظ اليد في القرآن الكريم للدلالة على الظرفية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة الأعراف:٥٧]. فمعنى (بين يدي رحمته): أمام رحمته " وهو المطر الذي هو

من أجلّ النعم وأحسنها أثرًا، والتعيين عن أمام الرحمة بقوله: (بين يدي) من مجاز الاستعارة، إذ الحقيقة هو ما بين يدي الإنسان من الإحرام"[٤٧]. ومن ذلك ما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[سورة الصف:٦]. فقوله: (مصدقًا لما بين يدي)، معناه: "ما تقدمني، فإن الشيء الذي أمام الإنسان هو ما بين يديه مجازًا"[٤٨]. فسمي ما مضى كذلك لغاية ظهوره واشتهاره. ودلّ لفظ اليد على البخل والشح، كما فسر قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [سورة التوبة:٦٧]. فإن قبض الأيدي يدل على البخل والشح بالإنفاق في سبيل الله، فهو كناية عن الشح والبخل في النفقات[٤٩]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [سورة الإسراء:٢٩]، تمثيل للشح والبخل باليد المغلولة، وقد نهى الله تعالى عنهما، وعن الإسراف والتبذير، وأمر بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم[٥٠].وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[سورة النساء: ٧٧]، دلّ لفظ اليد على القتل والقتال، و" كف الأيدي كناية عن الإمساك عن القتال؛ لكون القتل الذي يقع فيه من عمل الأيدي"[٥١]. ونحوه ما في قوله تعالى: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[سورة الممتحنة:٢]، إذ بسط الأيدي بالسوء كناية عن القتل والقتال[٥٢].وجاء لفظ اليد دالًا على النفس في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة:١٩٥]، إذ عبّرت الآية الكريمة باليد عن النفس، كأنه قيل: ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة، فجاء التعبير عن الأنفس بالأيدي مجازًا ذلك؛ لأن اليد يكون فيها أكثر الأفعال من الإنفاق وبذل المال والقتال، فهي مظهر لأغلب الأفعال[٥٣].ولفظ اليد وما صاحبه في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [سورة الفرقان:٢٧]، هو" مجاز عبر به عن التحسر والغم والندم والتفجّع، ونقل أئمة اللغة أن المتأسف المتحزن المتندم يعض على إبهامه ندمًا ... وعض الأنامل واليدين والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الأسنان كنايات عن الغيض والحسرة؛ لأنها من روادفها فتذكر الرادفة، ويدل بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه" [٥٤].واختلف المفسرون في المراد من بسط أيدي الملائكة في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة الأنعام:٩٣]، فهل المراد به مدها حقيقة إلى الإنسان حين الاحتضار، أو هو مجاز لمجرد التمثيل والكناية عن أهوال الموت[٥٥]. وما ذكرنا في هذا المبحث هو بعض الدلالات المجازية للفظ اليد في القرآن الكريم، وهناك دلالات ومعان أخرى لم نذكرها توخيًا للاختصار، ولكون المقام لا يسعها جميعًا.

الخاتمة

اختلفت دلالة لفظ اليد في القرآن الكريم بحسب الاستعمال السياقي له، وهذا يدل على أن الاكتفاء بدلالة الألفاظ المعجمية الأولى وحدها للوصول إلى معنى الكلام لا يؤدي إلى الغرض المنشود من النص. ومن هنا جاءت أهمية معرفة التغير الدلالي للألفاظ، حيث تنتقل معاني الألفاظ عن طريق العلاقات المجازية، فيُعبَّر باللفظ الواحد عن معان متعددة ومختلفة. كما أن للسياق والظروف المحيطة بالنص أثرًا كبيرًا في تحديد دلالة الألفاظ، والاكتفاء بظاهر اللفظ وما يحمله من دلالات بمعزل عن (المقام) لا يوصل إلى فهم المعاني فهمًا واضحًا وصحيحًا. وقد سعى هذا البحث إلى بيان دلالة لفظ اليد في القرآن الكريم في سياقاته المختلفة، وبعد تتبع هذا اللفظ واستقراء دلالاته المختلفة في سياقاته المتعددة، تحصّل أن لفظ اليد في القرآن الكريم قد ورد حاملًا دلالته الحقيقية وهي العضو المعروف (اليد الجارحة) في موارد معينة، وفي موارد أخرى أنتقل اللفظ إلى دلالات ومعان مجازية أخرى أبعدته عن معناه الحقيقي.ومن الموارد التي جاء فيها لفظ اليد في القرآن الكريم دالًا على معناه الحقيقي الآيات التي تحدثت عن أحكام الوضوء والتيمم، وعن الحدود والقصاص والعقوبات، وشهادتها يوم القيامة، وفي قصة موسى وآياته إلى فرعون وقومه، وغير ذلك. وأما الموارد التي جاء فيها لفظ اليد منتقلًا عن معناه الحقيقي دالًا على معانيه المجازية، فهي كثيرة، منها: دلالته على القدرة، وعلى العمل، والاختصاص، والظرفية، والقتال، والنفس، والبخل، وغير ذلك مما سجله هذا البحث.

هوامش البحث

(١) ينظر: دور الكلمة في اللغة : ٧٧-٨٦.

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة : ٣١-٣٤.

(٣) ينظر: الخصائص: ١/ ٤٤.

(٤) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٧٢-٧٣.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٢٣-٣٢٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٢-٣٥٢.

(٧) ينظر: دلالة الألفاظ: ١٥٢-١٦٧.

(٨) ينظر: المصدر نفسه : ١٠٦-١٠٧.

(٩) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعه : ١/٢٩٤- ٢٩٥، ٣٥٥-٣٦٨، ٤٤٦، ٤٤٩.

(١٠) الخصائص: ٢/ ٤٤٢.

(١١) الإحكام في أصول الأحكام: ١/ ٣٦.

(١٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(١٣) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين: ١٠٤- ١٠٥.

(١٤) الإحكام في أصول الأحكام: ١/٣٧.

(١٥) ينظر: الصحاح: ١٠٦٠.

(١٦) ينظر: المفردات: ٣٦٠

(١٧) ينظر : البحر المحيط في التفسير : ٢/٢٧٥.

(١٨) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٧/١٨.

(١٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣/٤٥٠-٤٥٨.

(٢٠) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٨/٢١٧.

(٢١) ينظر: المصدر نفسه: ١٧/١٠٣.

(٢٢) سورة يس: ٣٥.

(٢٣) سورة البقرة : ١٩٥.

(٢٤) التفسير الكبير : ٢٦/٨٩ .

(٢٥) ينظر: التفسير المبين: ٣٠٧.

(٢٦) ينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب : ٨/٣٠٢.

(٢٧) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : ١٠/٦١.

(٢٨) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٨/٤٥٦

(٢٩) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٥/٤٠٨.

(٣٠) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٤/٢٦.

(٣١) ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: ١٩.

(٣٢) ينظر: علم الدلالة فصوله ومباحثه في التراث العربي: ٧٦.

(٣٣) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/٣٦٤- ٣٦٦.

(٣٤) أصول السرخسي: ١/١٧٢.

(٣٥) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/٣٦٢- ٣٦٣.

(٣٦) ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: ١٣٢- ١٣٣.

(٣٧) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ٣٥٩- ٣٦٠.

(٣٨) التفسير الكبير: ٨/٨ .

(٣٩) البحر المحيط في التفسير : ٥٢١/٢.

(٤٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٣٨/١٤.

(٤١) التفسير الكبير: ٩٨/٩ .

(٤٢) تقريب القرآن إلى الأذهان: ٤٠١/٣.

(٤٣) البحر المحيط في التفسير: ٤٨٠/١

(٤٤) الميزان في تفسير القرآن: ٦٠/١٥.

(٤٥) تفسير القرآن المجيد: ٤٤٣.

(٤٦) ينظر: تقريب القرآن إلى الأذهان: ٤٦٥/٤.

(٤٧) البحر المحيط في التفسير: ٣٢١/٤.

(٤٨) تقريب القرآن إلى الأذهان: ٤٠٥/٥.

(٤٩) البحر المحيط في التفسير: ٦٩/٥.

(٥٠) ينظر: كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٣٩٥/٧.

(٥١) الميزان في تفسير القرآن: ٥/٥ .

(٥٢) ينظر: الكشاف : ٩٠/٤.

(٥٣) ينظر: روح المعاني: ٧٨/٢.

(٥٤) البحر المحيط في التفسير : ٤٥٤/٦.

(٥٥) التفسير الكاشف: ٢٢٨/٣.